(حزن الثقافة المرير) على طاولة المدى الثقافي

ضمن برنامج القسم الثقافي في جريدة المدى، أقيمت طاولة مستديرة بعنوان (حزن الثقافة المرير) وهو مناقشة لمقال نشر متسلسلا في جريدة (المدى) للشاعر ياسين طه حافظ، وأثار حين نشره ردود أفعال مختلفة، واستقطب اهتمام العديد من المثقفين.
قُدّم في هذه الطاولة عدد من المداخلات، وتم النقاش في ابرز ما جاء في الموضوع. (المدى الثقافي) أوجزت هذه المداخلات والنقاشات التي طرحت على أمل أن تكون نصوصها كاملة في أعداد (المدى) القادمة.

نجيب محيي الدين

حسان عاكف

رضا الظاهر

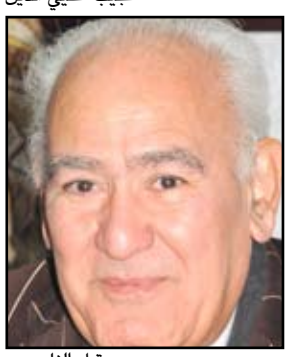
عقيل الناصري

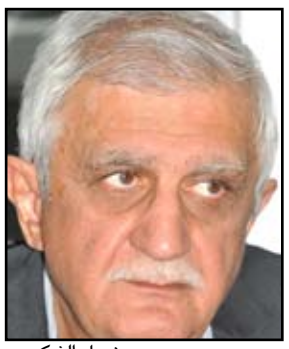
ضياء الشكرجي

ياسين طه حافظ

احمد ابراهيم

جمال العتابي

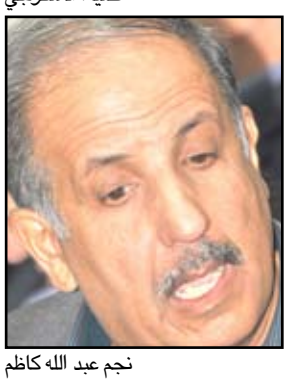
نجم عبد الله كاظم

ياسين طه حافظ: ملاحظات تنتظر التكامل

الشاعر ياسين طه حافظ بدأ وقائع الجلسة قائلا: أنا لا أدافع عن أفكاري لأنه ليس لدي ثابت، فهي بالنسبة لي ملاحظات تنتظر التكامل، حضرنا في هذه الجلسة لكي نضع هذه الافكار في مواضعها لنعدلها ونضيف لها ونطورها، ففي جميع الأحوال نحن نتحدث في جوّ فكري ثقافي، ومن هذا وحدة فائدة للجميع وفائدة لنا، خلاصة الأفكار التي كتبتها في هذه الورقة هي عن الثقافة ودورها واعتقد أن الثقافة الجديدة المطروحة تمهد الطريق إلى العولمة، تمهد لها أرضية وإذا خرجنا من الحديث الصحفي، أقول هي لإعادة إنتاج الرأسمالية، هذه هي مهمة الثقافة الحديثة السائدة اليوم، تكلمنا عن الخطاب السياسي العراقي الذي بدا خطابا شتائميا ولا يزال، منذ البداية نتأمل الخطاب العميل والرجعية العميلة وهذا حزب مأجور والقطاع المتخلف الغبي وهذا كله في منشوراتنا الجيدة منها وغير الجيدة وهذه مسألة لا بد من التوقف عندها فليس من المعقول ان اغلب الجماهير هم عملاء، فالبعثيون عملاء لأمريكا والحزب الشيوعي عميل لموسكو، أصبح لديك عشرة ملايين عميل فهذا غير معقول لا بد من وجود سياسي ذكي يقول يجب ألا تشتموا الجماهير، ربما في احد الأحزاب في اللجنة المركزية أو الكادر المتقدم هناك أشخاص لهم اتصالات خارجية، لكن عندما يتهم نصف الشعب بالعمالة فهذه مسألة غير معقولة وهي مطروحة على المثقفين وهي مسؤولية عامة والآن اترك الحديث لكم فأنا أريد أن أتعلم وان افهم الدرس جيدا، الدرس الذي لم افهمه إلى الآن.

رضا الظاهر: ثقافة الامل والجدل

اعتبر الكاتب رضا الظاهر مقال الشاعر ياسين طه حافظ المطروح للنقاش جهداً مميزاً، خصوصاً وانه يأتي في ظرف لا يخلو من مشاعر نكوص وتراجع ويأس ليشكل جزءا من ضفاف الأمل. وقال إنه تجلّ لمنهجية إعادة النظر الضرورية دائماً، وتعبير عن الجدل المستند الى الاختلاف في الرأي والتحليل. وأوضح أن وجود بعض الالتباسات والمواضع التي هي بحاجة إلى تدقيق مفاهيمي في المقال لا يقلل من أهمية الموضوعات المطروحة في المقال.

وفي مداخلته قال الظاهر إن (حزن الثقافة المرير) تعبير شاعري يضيء مرارة الأحزان العراقية، وهي أحزان تمتد من بكاء عشتار السومرية على رحيل تموز حتى أيامنا المفعمة بالأحزان والبعيدة، على ما يبدو، عن المسرات.

وإذ أكد الكاتب أهمية إنجاز دراسات معمقة في الأفكار التي طرحتها الورقة، ركز في مداخلته على موضوعات الثقافة والديمقراطية والعلاقة بين المثقف والسلطة ودور الثقافة في الظرف الراهن، ملمحا إلى ضرورة دراسة قضايا ملحة بينها عواقب غياب الطبقة الوسطى على الثقافة كحركة سياسية وكإبداع جمالي.

وقال إن الديمقراطية شرط ازدهار الثقافة، وهي عنصر داخلي في المعرفة يمنحها سمة اجتماعية، ويؤكد القبول بالنقد والاجتهاد والاختلاف والتعددية والحوار، وبالصراع الذي هو أساس تجدد المعرفة.

وأشار إلى التعارض بين الثقافة الجماهيرية التي تتسم بالبؤس وتأبيد الراهن والثقافة الديمقراطية التي هي فضاء حر يتطور عبر الحوار في إطار مجتمع مدني، وشرط للتحول الاجتماعي التقدمي.

وأوضح الظاهر أن كل مشروع سياسي لابد من أن يستند إلى مشروع ثقافي، وبالتالي فان الديمقراطية هي الأساس الذي ترتكز عليه هذه العملية في صياغة مشروع نقدي يتمثل في إعادة إنتاج العلاقات الضرورية بين الفكر والأخلاق والسياسة.

ضياء الشكرجي: لا ديمقراطية بدون علمانية

الباحث ضياء الشكرجي قال: هناك تلازم بين المثقف والديمقراطية والديمقراطية بالضرورة هي علمانية، نحن عندما نقول إعادة النظر يعني هناك اختلاف إذن لا نقول ليس هناك اختلاف في الأفكار، وهناك صدام بين الأفكار وهناك خصام...، المشكلة ليست في أن تختلف الأفكار في ما بينها، المشكلة في انه كيف نتعامل مع هذا الاختلاف ، هنا تكمن المشكلة، لأن الثقافة في تصوري لها بعدان؛ بعدٌ معرفي و بعد نستطيع ان نقول عنه نفسي أخلاقي، فمثلا عندما نتكلم عن ثقافة التسامح فهذه قضية نفسية وقدرة على أن نتسامح مع الآخر الذي يختلف معي أو معك، لا يعني إنها ليست قضية معرفة أو رؤية فلسفية مبنية على أسس معينة وإنما هذه قضايا نفسية، فأذن أنا أقول بالعكس إننا في مجتمعنا نحتاج إلى أن نتعلم ونتمرن على كيفية أن نتعارك عراكا حضاريا انسانيا عقلانيا، فنحن عندما نخفي اختلافنا فهذا يعني هناك مشكلة لماذا اخفي خلافي مع الآخر؟ لأنه يوجد هناك تخوف من إنني قد لا احتمل هذا الاختلاف وهو أيضا لا يتحمله.

إن هناك المثقف الذي يخدم السلطة التي يريد أن يغيرها ولكن بمعنى أن يخدمها لأنه هو إنسان نفعي وصولي أو اضطر اضطرارا باعتبار أن الثقافة فيما تحتاج؟ تحتاج إلى المادة لان المثقف الفقير لا يستطيع ان ينتج، وبالتالي أي جهة تحتضنه وتسد هذه الثغرة لديه يمكن أن يخدمها وهنا سيقع في ازدواجية رهيبة بين مشروعه الثقافي وبين كونه تحول إلى المثقفين المرتزقين، وكذلك من أمراض بعض المثقفين كالتعالي على الشأن السياسي، وانه لا يناسبه ان يخوض الفعل السياسي بشكل مباشر أي انه يعطي ملاحظاته من برج عاجي لكن لا يدخل الميدان كونه لا يليق به كمبدع ومثقف أن يكون مباشرا في فعله السياسي وهذه مشكلة طبعا فأذن هناك عاملان يتجاذبان المثقف، عامل ان يكون مبدعا وان يكون مغاليا في اقتصار ثقافته على البعد الجمالي فيتحول إلى حالة من الثقافة الترفيهية التي لا تحمل أي رسالة وبين الذي يغالي في رسالة الثقافة وتتحول ثقافته إلى ثقافة مؤدلجة وهذا سوف يحول دون الإبداع. أحيانا الفعل الثوري الوطني الذي نحن نقول عنه الديمقراطية العلمانية لا يمكن أن يكون، فليست هناك ديمقراطية بدون علمانية حتى أن الثوريين وقعوا بما وقع به الظلاميون الذين يحملون مقدسات ونهائيات غير قابلة للنقاش.

حسان عاكف: انحسار فعل الثقافة التنويري

وقال عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي حسان عاكف: من اجل إنعاش الذاكرة بالنسبة لي على الأقل واعتقد لبعض الحاضرين الذين اطلعوا على الورقة بعجالة، أشير إلى أهم الموضوعات التي وجدتها في الورقة من وجهة نظري، والتي يمكن اختصارها بعناوين ثلاثة او اكثر او اقل كما اشار الاستاذ رضا الظاهر، الموضوعات المهمة التي وجدتها بحكم عملي كناشط في المجال السياسي، الموضوعات هي انحسار فعل الثقافة التنويري ودورها في نشر الوعي والاثارة والانسحاب من منطقة النفوذ والفعل المباشر، والموضوعة الثانية التي تشير لها الورقة في وصف الواقع الحالي الذي نعيشه هي انحسار الفعل العملي الجماهيري والموضوعة الثالثة انحسار الفعل السياسي الثوري بالمفهوم الراديكالي للثورة كما فهمته من الورقة، يرتبط بها -كما تشير الورقة- الواقع الحالي او شعور المثقفين والسياسيين الآن، انه لا جدوى من التفكير بالثورة، ايضا اكرر كما فهمنا المفهوم الراديكالي للثورة، دور القوى الخارجية في اندلاع الثورات واخمادها. وشعرت ان الورقة تعطي لهذه القوى اهمية كبيرة نسبيا. اشير الى العولمة الرأسمالية والحركة العالمية او الاهمية الاحتجاجية او المعارضة لهذه العولمة وبالتالي لأقول ان الأستاذ ياسين طه حافظ يصف المرحلة بكونها مرحلة غبشية، أي مرحلة مشوشة سواء بالنسبة للمثقفين او للسياسيين او للاطر والتنظيمات الثقافية والسياسية. كما اشير الى ان الورقة تضمنت حديثا ليس بالقليل عما سمته بالراديكال او الماركسيين او الشيوعيين او الحزب الشيوعي العراقي.

ويمكن القول في الوقت الحالي إن القوى السياسية الموجودة في الساحة تجاوزت الاتهامات الجاهزة لبعضها البعض بالتخوين والعمالة ... الخ، ولا اختلف مع الاستاذ ياسين فأن هذه القوى ما زالت متخندقة في هذه المواقع، ولكنني اعتقد أن اغلب هذه القوى اسلامية او ماركسية او قومية عربية، تجاوزت هذه الممارسة الخاطئة والمؤذية التي كلفت شعبنا الكثير والكثير، وايضا بالارتباط مع هذا استطيع القول إنه رغم التناحر والاتهامات القاسية المتبادلة في الفضائيات في السنة او السنتين الاخريين، ان عموم هذه القوى متوجهة أيضا وبدرجات مختلفة الى نبذ اللجوء الى العنف او الاتهامات لحل صراعاتها، وهي ملزمة سواء بقناعة او نصف قناعة بأن تبقى على الارضية السياسية السلمية في صراعها وتناحرها وهذا مظهر او ملمح جديد اذا أردنا مقارنته بما كان عليه الأمر في السابق

نجم عبدالله كاظم: الورقة تشتمل على الخطوة الأولى

وقال الاكاديمي أ.د نجم عبد الله كاظم: اقدم شكري للقسم الثقافي الذي أتاح لنا هذا اللقاء، وللشاعر ياسين طه حافظ على ورقته (حزن الثقافة المرير)، أود أن أشير إلى أنني، كوني لست سياسياً ولا محللاً سياسياً ولا حتى معنياً بالسياسة، سأعنى بها هنا بوصفها انشغالاً ثقافياً أو مثقفياً، إن صح التعبير، وتعلقاً بذلك ستقوم ملاحظاتي، بعبارة أخرى، على الثقافة والمثقف ولاسيما العراقيين، وستكون على علاقة غالباً بمحتوى كتابي الذي صدر بداية هذا العام "هوميك.. خطوات هي: أولاً أن تشخص هذا العيب أو السلبية أو الخطأ، وكل ذلك يكون بالطبع، وكما هو واضح، ضمن نقدك للذات. وثانياً أنْ تقرر، بعد الاقتناع بأن المشخص عيب، أن تغادره وتنبذه أو تستبدله بالبديل المناقض. وثالثاً أن تُقدم على الفعل، بعد ذلك وبعد التسلّح بالأدوات بالطبع، بإصرار وبدون تردد.

والآن أعتقد أننا إذ نجد الورقة التي أمامنا تشتمل على الخطوة الأولى إلى حد كبير نعني تشخيص العيب، مع أن هذا غير متحقق عند الغالبية العظمى للمثقفين، فإنها، أعني الورقة، لا تقرر بخطوة ثانية التجاوز والمغادرة بقدر ما تدعو إلى شيء منه وبشكل حيي وبالتفافات واتّباع طرق غير مباشرة، وأعتقد أن لهذا علاقة بطبيعة الشخصية العراقية.

الملاحظة الثانية: في عموم الورقة ينبّه صاحبها الشاعر ياسين طه حافظ إلى ضرورة احترام اليسار للآخر يمينياً ودينياً وتوجّهاً. وإذ تبدو هذه الدعوة وعياً افتقدته قوى اليسار طيلة عقود، نرى أن احترام الآخر المختلف الذي لم يتحقق شيء، والتحالف معه كما فعل هذا اليسار في النهاية، شيء آخر لا يُضمن أن يكون صحيحاً وصحياً.

الملاحظة الثالثة: مقارنةً للثقافة بالحقول و(القوى) الأخرى، تحاول الورقة بيان مكانة الثقافة غير المهيمنة في ما تسميه "منطقة النفوذ والفعل المباشر" وقوى النفوذ الأخرى في تسيير الدولة، من اقتصاد وتجارة وسياسة ودين وغيرها، واقتصارها على ما تسميه الورقة "مستوى الاعتراض المدني" وربما دخول المثقف "شريكاً ثانوياً في بعض المشاريع البعيدة عن الدفاع والأمن الداخلي والمالية"، وتضيف الورقة القول: "انتهى، هنا دور الثقافة في نشر الوعي والإثارة".

عقيل الناصري: نمو الطبقة الوسطى كان بطيئاً جداً

الباحث في التأريخ العراقي المعاصر د. عقيل الناصري قال: في قراءتي تاريخ العراق المعاصر منذ عام ١٩٢١ الى الوقت الحاضر او منذ مطلع القرن المنصرم وانا أصغي الى ثلاث فرضيات لها تأثير مباشر ليس فقط على الواقع وإنما على البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العراقي، أقول إن هذه الفرضيات الثلاث تمثلت بالآتي: اولا خلال الاحتلال الأول كونت الدولة وصمت هذه الدولة او مفاتيحها الى قوى العنف المنظم، وعن قيم الضباط، ولهذا السبب ولاحظت إن ٦٤٪ من رؤساء الوزارات في العهد الملكي كانوا ذوي أصول عسكرية والغلبة لهم.

هناك نقطة اخيرة وهي الطبقة الوسطى، اذا اردنا ان نؤسس لهذه الطبقة علينا أن نرجع للخمسينيات لأنها بدأت منذ تأسيس الدولة العراقية كما أرى وازعم أنها، كانت عملية نمو الطبقة بطيئة جدا جدا، وتمثلت في الدولة او بالأحرى مؤسسة الدولة التي هي اصبحت لدينا بالعراق اكبر مستهلك واكبر منتج، وبالتالي بدأت تفرّخ او تساعد على تفريخ الطبقة الوسطى لكن الفقرة الكبيرة التي جاءت هي الخمسينيات بطرق أساسية كما عرفت بحيث نوعها أصبح ملحوظا في المجتمع العراقي، مقارنة بالطبقات المجتمعية الأخرى. بل اكثر تبلورا ولنقول ايضا ان الحزب الشيوعي والحركات اليسارية والراديكالية هي برغم طبقتها الفكرية لكنها بُنيت كما أرى من خلال الطبقة الوسطى بصورة أساسية وما ثورة ١٤ تموز كما أزعم، وهي عبارة عن ثورة الطبقة الوسطى وفئاتها المتعددة ذات المواقف المتذبذبة لكن لم نستطع أن نجذّرها لان القوى السياسية ارادت من الثورة ان تأخذ مسارها كما ترى هذه الطبقات او الاحزاب والقوى السياسية، وليس كما يتطلب الوضع الاقتصادي، عندها اقف عند هذه النقاط الثلاث.

نجيب محيي الدين: الثقافة تبشر بالوعي الثوري

الشخصية السياسية نجيب محيي الدين قال: اعتقد إن جلستنا لا تكفي هذا البحث واسمحوا لي أن اعرف الأستاذ ياسين طه حافظ فاني كنت قد عرفته لأكثر من خمسين سنة، وقد عرفته آنذاك شابا دقيقا مؤدبا حريصا على السعي وراء المعرفة وعلى الموضوعة فيما يتكلم وفيما يكتب وفيما يبحث وقد لازمته هذه الصفة حتى إني على قد تتبعي لنتاجاته طوال هذه المدة منذ ذلك الوقت، ملاحظاتي بسيطة مع تقديري للذين سبقوني.

في الصفحة الأولى يقول كنا في الخمسينيات العراقية نطالب الثقافة لتبشر بالوعي الثوري، والتحريض على الثورة وأنا لا اعتقد انه يمكن ان تطالب الثقافة الآن بمثلما كانت تطالب به في تلك الفترة وبالأسلوب نفسه ، الا أنها تظل تطالب لتكشف معاناة الناس، والمسؤولين عن معاناتهم، يؤمل منها ان تدلهم على أساليب عملهم في الصفحة الثانية جاء فيها الثورات لن تندلع بعد بسبب ضائقة اقتصادية او بسبب القمع الناري ضد المحتاجين او الساخطين وفي تقديري ان أسباب الضائقة الاقتصادية تبقى من اهم الأسباب التي تدفع المجتمع إلى الثورات.

جمال العتابي: المثقف باحث دؤوب عن الخلاص

واشار د. جمال العتابي: المثقف وحده يعتقد، من يمتلك الحقيقة، وهكذا صرنا نعيش هذا الوهم، والمثقف هو الضحية، ضحية السلطة التي تريد استنزافه واستخدامه، وضحية السياسي الذي يريد تهميشه واستسلامه، وهو ضحية المجتمع الذي لا يقيم دوره كما يجب أن يستحق وسنرى ان المثقف يتعامل مع المجتمع كمسؤول عن القيم والمقدسات ومدافع عن الهوية والثقافة واللغة والذاكرة، وداعية للتحضر والمدينة، وكمساهم اصيل في تأسيس المستقبل ويعلن الموقف دائما انه ضد السلطة السياسية ومعزياتها. وهو غريم للسياسي، وهو باحث دؤوب عن سبل الخلاص والحقيقة وجمالية العالم.

ان شرط المثقف الجدير بالاسم الذي يحمله هو ان يعي شهادته على العصر الذي يعيشه، وان يحاور المفردات التي تنطبع في وعيه ويتخذ موقف منها.

وان يتسم بالحساسية الشديدة تجاه نفسه وتجاه الوقائع التي يخبرها من يحاسب نفسه، ويحاسب واقعه.

احمد إبراهيم: ما ننشده هو مجتمع ديمقراطي

وقال د. احمد ابراهيم: على هذا الحديث أخذت مساحة واسعة خاصة في الجانب السياسي والثقافي وكل جانب يحتاج إلى دراسة واسعة تعكس تفسير كثير من الظواهر الخطرة من خلال دراسة العقل العربي والعراقي خاصة ، لان هذه الشخصية العراقية التي اتسمت بالفردانية تحتاج إلى نظرة معمقة في أسبابها من الجانب الآخر اذا ما تحدثنا عن المشكلات السياسية في العراق، ولم تحظ هذه الظاهرة في البحث عن الجوانب التي ادت الى الانقسامات المجتمعية والطائفية، واعتقد أيضا انه في الفقرة الأخيرة من ورقة البحث ظهرت بوضوح وبعد ثورة ١٩٥٨ بأن الثقافة تسير نحو الثقافة الجماهيرية وهذا اثر سلبا على النخبة المثقفة في العراق، وهذا ما سلطه الأستاذ ياسين طه حافظ على المشكلات المجتمعية. والحل الذي ننشده هو المجتمع الديمقراطي والذي من الممكن أن يفتح الفرصة للثقافة ويجعلها تزدهر.

إبراهيم الخياط: وقفة تقييمية

الشاعر ابراهيم الخياط قال: نحن بحاجة إلى وقفة تقييمية وهذه المسألة غالبا ما تكون مراجعة نظرية، طرحت في مؤتمر من مؤتمرات الحزب الشيوعي مسألة لتقييم تجربة الحزب وكذلك في التحضير، وكانت محاولة للإفادة من الماضي وهذه المراجعة اعتبرها نوعا من التقييم فيه عجالة على أساسه سيكون دافعا لنا لننتقد انفسنا وغيرنا، رأيت في ورقة الأستاذ ياسين انها درس للسياسيين في ان تكون مصلحة الشعب فوق الخلافات فلاحظنا انه ضد اجتثاث الفكر ودراسة الحدث تبعاً لوقته وهذا يمكن الاستفادة منه للنظر إلى ثورة ١٤ تموز وهو المختبر الذي نحلل فيه ويجب أن تحلل تلك الإحداث وفق الظروف الآنية والوقتية لذلك الزمن وبما أن الثقافة انتعشت بشكل شامل في عام (١٩٥٩ – ١٩٧٣). فعندما يكون هناك إقصاء للمعارضة سيكون هناك إقصاء للمثقفين ايضاً.

المثقف هو صوت الناس ويتحمل هموم الأمة وآلامها ونحن نحتاج إلى دولة قانون قرينة إلى دولة الثقافة.